هذه المقالة مفتوحة الوصول رخصة CC BY 4.0
creativecommons.org/licenses/by/4.0

السِّياسَاتُ الاسْتِكْبَارِيَّةُ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ

◆ قراءة: لينا السقر[1]

■ خلاصة

تتناول هذه الدراسة مفهومي الاستكبار والاستضعاف في ضوء القرآن الكريم والواقع المعاصر؛ فتُبيِّن أنَّ الاستكبار صفةٌ مذمومةٌ تتجلَّى في الغطرسة ورفض الحقّ، وترتبط غالبًا بالطغيان والكفر، كما في قصص (فرعون) وقومي (عاد) و(ثمود). وفي المقابل، يُبرز القرآن المُستضعفِين الذين يثبتون على الحق ويواجهون الظلم صابرين محتسبين. كما يُميِّز النصّ القرآني بين العلوّ المشروع والاستعلاء المذموم، محذِّرًا من أنَّ التمرُّد على أوامر الله والفساد في الأرض يؤدِّيان إلى الإهلاك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، مؤكِّدًا أنَّ الظلم والمكر اللذين يسلبان حقوق المظلومين يستوجبان العقاب الإلهي. وتتَّسع هذه المفاهيم لتشمل تجلِّيات الاستكبار العالمي الحديث الذي يعتمد على تشويه الحقائق، واحتكار المعرفة، وتجهيل الشعوب، وفرض الهيمنة الاقتصادية والثقافية، مستغلًّا الانغماس في المادِّيات. كما تستخدم القوى الاستكبارية وسائل العنف، والاعتقال، والسيطرة العسكرية لضمان نفوذها السياسي والاستراتيجي. وبذلك، تقدِّم الدراسة نموذجًا قرآنيًّا لفهم ديناميات الاستكبار وكيفية مواجهتها بالوعي، والتمسُّك بالقيم الخُلُقية، وحماية المُستضعفِين، ما يجعلها جسرًا تحليليًّا يربط بين الرؤية القرآنية وآليَّات الاستبداد في واقعنا المعاصر.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الاستكبار، العنف، الإرهاب، السيطرة الاقتصادية، السيطرة العسكرية، الفساد، سياسة فرّق تَسُد.

١ - مترجمة، من سوريا.

https://doi.org/10.68724/TBY-2026-11-SP-006

Arrogant Policies in the Holy Qur'an

◆ **Reviewed by: Lina al-Saqer**
Syrian translator.

■ Abstract

This study examines the concepts of arrogance and oppression in light of the Holy Qur'an and contemporary reality. It demonstrates that arrogance is a reprehensible trait manifested in haughtiness and rejection of truth, often linked to tyranny and disbelief, as seen in the stories of Pharaoh, the people of 'Ad, and the people of Thamud.

In contrast, the Qur'an highlights the oppressed who remain steadfast in their adherence to truth and patiently confront injustice. The Qur'anic text also distinguishes between legitimate elevation and reprehensible arrogance, warning that rebellion against Allah's commands and corruption on Earth lead to social, political, and economic destruction. It emphasizes that injustice and deceit that deprive the oppressed of their rights warrant divine punishment. These concepts extend to encompass the manifestations of modern global arrogance, which relies on distorting facts, monopolizing knowledge, keeping people ignorant, and imposing economic and cultural hegemony, exploiting the immersion in materialism. Hegemonic powers also employ violence, arrest, and military control to secure their political and strategic influence. Thus, this study presents a Qur'anic model for understanding the dynamics of hegemony and how to confront it through awareness, adherence to moral values, and the protection of the vulnerable. This makes it an analytical bridge connecting the Qur'anic perspective with the mechanisms of tyranny in our contemporary reality.

Keywords:

The Holy Quran, Arrogance, Violence, Terrorism, Economic Control, Military Control, Corruption, "Divide and Rule" Policy.

بطاقة الكتاب

اسم الكتاب: السِّياسات الاستكباريَّة في القرآن الكريم.

مؤلِّفة الكتاب: زينة الجمّال.

دار النشر: مركز براثا للدراسات والبحوث.

اللغة الأصليَّة: العربية.

عدد الصفحات: ١٥٥.

سنة النشر: ٢٠٢٤ م.

مقدّمة

يُعدّ القرآن الكريم كتاب هداية شامل للبشرية؛ فهو يتجاوز كونه مجرَّد سجلٍ للأحداث التاريخية أو القصصية، ليكون مرجعًا توجيهيًّا للأخلاق والنظم الاجتماعية والسياسية في كل زمان ومكان. ولا يكتفي القرآن بسرد وقائع الأُمم السابقة بل يستعرضها باعتبارها دروسًا وعبرًا تعكس طبيعة الإنسان في مواقف القوّة والضعف، والحقّ والباطل، والعدل والظلم. كما أنَّ ذِكر قصص الأمم المُستكبِرة، كقصص (فرعون) و(قارون) و(هامان)، لا يهدف إلى التوثيق التاريخي فحسب، بل يسعى لتحقيق غاية القرآن الكبرى في هداية الإنسان نحو بناء مجتمع قائم على العدل والقسط، ومناهضة الظلم والطغيان؛ إذ تحمل هذه القصص نماذج لأنماط

الاستكبار، وتبيِّن سبل مقاومتها التي انتهجها الأنبياءﷺ والأمم الصالحة، ما يجعلها مادَّة غنية لاستنباط الدروس الخُلُقية والاجتماعية والسياسية. تتَّسم الآيات القرآنية بطابعٍ شمولي يتيح استنباط قيم ومبادئ وقوانين صالحة لكلِّ العصور، كالعدالة والمساواة، وصون كرامة الإنسان، ومناهضة الظلم والاستغلال. هذا الطابع العام يجعل من القرآن أداةً فاعلةً في تحليل السلوك الإنساني وفهم سياسات الهيمنة التي تمارسها القوى الكبرى ضدّ المُستضعفِين في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. كما يؤكِّد القرآن والسُنَّة أنَّ هذه الآيات ليست محصورةً في سياق نزولها بل هي مبادئ خالدة ومنارة إرشادية للأجيال كافَّة، تدعوهم إلى التفاعل مع قِيم الحق والعدل في مواجهة الطغيان والفساد. يُتيح تحليل القصص القرآني استيعاب آليات الاستكبار والبغي، وتفكيك أدوات السلطة الجائرة، واستخلاص قواعد عامة لمواجهة الاستبداد والهيمنة. كما يُبرز هذا التحليل قدرة النص القرآني على ربط الدين بالواقع الاجتماعي والسياسي، وتوجيه الإنسان نحو سلوك واعٍ يُمكِّنه من بناء مجتمع قائم على العدل والحق، ومناهض للفساد والقهر استنادًا إلى مبادئ إيمانية راسخة. ومن هنا، لا يظهر القرآن الكريم بوصفه كتابًا روحانيًّا فحسب بل مرجعًا معرفيًّا وخُلُقيًّا، ودليلاً عمليًّا لفهم الديناميات الإنسانية والاجتماعية، وتأسيس أنظمة تحفظ كرامة الإنسان وتُحقِّق العدالة المستدامة.

عرض الكتاب

يقدِّم هذا الكتاب تحليلاً معمقًا لسياسات الاستكبار في القرآن الكريم وتأثيرها على المجتمعات الإنسانية، مستخلصًا الدروس من قصص الأمم المستكبرة لإسقاطها على واقعنا المعاصر. ولا يكتفي الكتاب بعرض القرآن كسجلٍ تاريخي للأحداث، بل يبرزه كمرجعٍ إرشادي شامل لفهم آليات الظلم، ويضع قواعد عامة لتقويم السلوك الفردي والجماعي، سعيًا للارتقاء بالمجتمع نحو العدالة ومكافحة الفساد. كما يستعرض الكتاب في فصوله

الخمسة طبيعة هذه السياسات الاستكبارية، مسلِّطًا الضوء على العِبر المستفادة منها وسبل تطبيقها في حاضرنا.

يتناول الفصل الأوَّل، المعنون بـ "الحقول الدلالية للاستكبار والمفردات المرتبطة بها"، المفاهيم الأساس للاستكبار في القرآن الكريم، مستعرِضًا المصطلحات القرآنية ذات الصلة بالعلوّ، والطغيان، والفساد، والظلم. كما يضمّ عدَّة مباحث تشمل: الاستكبار، والاستضعاف، والعلوّ والعتوّ، والطغيان والبغي، والفساد والإهلاك، والظلم والإجرام والمكر، مبيِّنًا ارتباط هذه المفاهيم بسلوك الأُمم المُستكبِرة. ويحلِّل الفصل الثاني، الذي يحمل عنوان "الاستكبار العالمي والسيطرة على عالم الأفكار والحقائق"، الوسائل الفكرية والثقافية التي يوظِّفها المستكبرون لفرض هيمنتهم، كتشويه الوقائع، وإنكار الحقائق، والاستبداد الفكري، واحتكار المعرفة، وتجهيل المجتمع وتسطيح الوعي، موضِّحًا كيفية فهم هذه السياسات في ضوء نصوص القرآن الكريم.

أما الفصل الثالث بعنوان "الاستكبار وعالم القِيم ونمط الحياة"، فيركِّز على تأثير الاستكبار في منظومة القِيم والمبادئ وأسلوب حياة المجتمعات، مستعرِضًا السياسات التي تهدف إلى نشر الفساد، وتغليب الجوانب المادِّية على حساب القيم الخُلُقية والاجتماعية. ويتناول الفصل الرابع "سياسات المؤامرات والعنف والإرهاب" توظيف القوّة والخداع باعتبارها وسائلَ لتحقيق الهيمنة، من خلال استراتيجيات مثل "فرِّق تَسُد"، والمكر، والمؤامرات، والعنف، والإرهاب، والاعتقال والنفي، مبيِّنًا آثارها السلبية على المجتمعات المُستضعَفة. بينما يحلِّل الفصل الخامس العلاقة التبادلية بين السيطرة الاقتصادية والعسكرية، موضِّحًا كيفية دمج النفوذ المالي بالقوَّة العسكرية لضمان الهيمنة، مع التركيز على الترابط الوثيق بين الأبعاد الاقتصادية والأمنية للقوى الاستكبارية.

بشكل عام، يقدِّم الكتاب رؤية شاملة للسياسات الاستكبارية كما صوَّرها القرآن الكريم، مؤكِّدًا على الدروس المُستفادة لفهم الظلم والفساد، وتوجيه المجتمعات نحو العدل، ما

يجعل القرآن مرجعًا حيًّا وفاعلاً في دراسة السلوك الإنساني وتحليل موازين القوى في الواقع المعاصر.

الفصل الأول: الحقول الدلالية للاستكبار والمفردات المرتبطة بها

المبحث الأول: الاستكبار والاستضعاف

تتميّز اللغة العربية بثراء مفرداتها وتعدُّد ألفاظها التي تُعبِّر عن المعنى الواحد من زوايا متنوِّعة، ما يتيح فهمًا عميقًا وشاملاً للدلالات. وقد وظّف علماء التفسير هذا الثراء لاستجلاء معاني القرآن الكريم من خلال دراسة المترادفات، والأضداد، والشواهد اللُّغوية. ويُعدّ الاستكبار صفة مذمومة تظهر في صور الغطرسة ورفض الحقّ، وغالبًا ما يرتبط بالكفر والتكذيب، كما تجسَّد في قصص (فرعون) وقومي (عاد) و(ثمود). وفي المقابل، يبرز المستضعفون الذين يعيشون تحت وطأة المستكبرين؛ إمَّا خضوعًا وإمَّا مقاومة، ويُثَابون عند الله إذا صمدوا وتمسَّكوا بإيمانهم. ويؤكِّد القرآن أنَّ الاستكبار صفة نسبية تتحدَّد بالمقارنة مع الآخرين، وأنَّ العلاقة بين المُستكبِرين والمُستضعفِين تعكس ديناميكية اجتماعية وسياسية واضحة بين القوى المتصارعة.

المبحث الثاني: العلوّ والعتوّ

يُشير العلوّ إلى الرفعة والسمو، بينما يُقصد بالاستعلاء طلب العلو بطريقة مذمومة تقترن عادةً بالظلم والاستكبار. ويتجلَّى الفرق بينهما في قصة (إبليس)؛ إذ رأى نفسه أفضل من آدم(ع) (علوّ)، ورفض الانصياع لأمر الله بالسجود (استكبار)، وهي خطيئة كبرى تفضي إلى الكفر والجحود. وفي السياق السياسي، يتجسَّد الاستعلاء في الاستبداد، كما في حالة (فرعون) الذي ادَّعى الربوبية، وسيطر على أرزاق العباد وأحوالهم، مُطبِّقًا سياسة «فرِّق تَسُد» لإضعاف الشعوب، فضلاً عن ممارسة البطش والعنف ضدّ المُستضعفِين. أمَّا العُتُوّ، فهو شعور الإنسان

بالترفُّع عن الطاعة، ويقترن بالتمرُّد على أوامر الله ونواهيه، سواء على المستوى الفردي أم الجماعي، كما في حال مَن جحدوا باليوم الآخر ورفضوا دعوة الرسول. وبذلك، يتَّضح أنَّ الاستعلاء والاستكبار والعُتُوّ ليست إلا مظاهرَ لرفض الطاعة والتمرّد على الحقّ، وهي أسباب رئيسة للعقاب الإلهي في الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث: الطغيان والبغي

يُعَدُّ الطغيان تجاوزاً للحدود المقرَّرة، سواء تمثَّل ذلك في العصيان ضدّ الله أو في ممارسة الظلم والاستكبار على الناس، وهو ما يتجلَّى بوضوح في القصص القرآني، كقصة (فرعون) و(ثمود). أما مصطلح «الطاغوت»، فهو مشتقّ من الطغيان، ويُشير إلى كل ما يُعبد من دون الله، أو من يُتَّخذ ربًّا في الشؤون التشريعية والسياسية، ويشمل ذلك الحُكَّام الطغاة وأصحاب السلطة الذين يتجاوزون حدودهم ويبتعدون عن الحق. ومن مظاهر الطغيان أيضًا «البغي»، وهو التعدِّي في الظلم كمًّا أو كيفًا، وهو ما ظهر جليًّا في قصة (قارون) الذي بغى على قومه وسعى للاستعلاء بكنوزه وممتلكاته الدنيوية. ويؤكِّد القرآن الكريم أنَّ الامتثال لله وحده، واجتناب عبادة الطاغوت، هما السبيل لتحقيق الثبات والسعادة، في حين أنَّ التعلّق بالاستكبار والسيطرة البشرية غير المشروعة يؤدّيان إلى سوء العاقبة والخسران في الدنيا والآخرة.

المبحث الرابع: الفساد والإهلاك

يتناول هذا المبحث مفهوم الفساد المُتخفِّي تحت رداء الإصلاح، مُعرِّفًا إيَّاه بأنَّه انحراف عن الاستقامة وتركٌ للصلاح، قلَّ هذا الانحراف أم كَثُر، مستندًا إلى الآيات القرآنية التي تربط بين الفساد في الأرض وإذلال الناس. ويبيّن أنَّ الفساد يتجلَّى في صور سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية عدَّة، غالبًا ما تُبرَّر بشعارات إصلاحية واهية؛ كالاحتلال، واحتكار السلطة، ونهب الموارد، كما جرى في فلسطين والعراق وأفغانستان، أو عبر تغييب القِيم الدينية

والاجتماعية تحت ذريعة تحديث المناهج. كما يوضِّح المبحث علاقة الفساد بالاستبداد بالسلطة، وما يترتّب على ذلك من إهلاكٍ للحرث والنسل واستعبادٍ للبشر، لافتًا إلى اقتران الفساد بالنفاق؛ حيث يتظاهر المُفسدون بالإحسان بينما يمارسون فسادهم سرًّا وعلانية. ويخلص إلى أنَّ الفساد، مهما تجمّل بشعارات الإصلاح، يظلّ خروجًا عن التوازن الكوني والاجتماعي الذي أراده الله، وهو فعلٌ يستوجب العقاب في الدنيا والآخرة؛ لما يخلّفه من هلاكٍ بشري وخرابٍ عام.

المبحث الخامس: الظلم والإجرام والمكر

يتناول القرآن الكريم مفهوم الظلم بوصفه تجاوزًا للحقّ ووضعًا للأمور في غير نصابها، سواء كان ذلك في حق الله، أم في حقّ العباد، أم في حقّ النفس، مع تسليط الضوء بشكل خاص على ظلم الناس بعضهم بعضًا. ويُبيّن النص مشروعية انتصار المظلوم لنفسه لاسترداد حقِّه، مع الحثّ على فضيلة العفو والصفح. ويربط القرآن بين الظلم والاستكبار الذي يتجلَّى في سلب الحقوق وتهجير أصحابها، وما يتبع ذلك من عقوبات إلهية، كما ورد في قصص القرى الظالمة. كما يقترن الظلم بالجُرم والمكر؛ فالجُرم يشمل الذنوب والكفر ورفض الحقّ، بينما يمثِّل المكر الحيل والخداع التي يلجأ إليها المستكبرون لعرقلة الدعوة الإلهية التي تبطلها حكمة الله ومكره. ويبرز المبحث من خلال هذا الترابط بين الظلم والجُرم والمكر عدالة الله المطلقة في محاسبة الظالمين، ما يجسِّد النهج القرآني في مواجهة الاستكبار وصون حقوق المظلومين.

الفصل الثاني: الاستكبار العالمي والسيطرة على عالم الأفكار والحقائق

المبحث الأول: سياسة تشويه الوقائع وتزوير الحقائق

لطالما لجأت قوى الاستكبار عبر التاريخ إلى تحريف الحقائق وتزييف الوقائع باعتبارها

أداةً لترسيخ نفوذها وطمس الحقّ، وهو ما أكَّده القرآن الكريم ببيان أنَّ الكذب والتحريف غالبًا ما يصدران عن وعيٍ وقصدٍ مُسبَق. وفي العصر الحديث، تطوَّرت هذه الممارسات لتتَّخذ من وسائل الإعلام ومنصَّات التواصل الاجتماعي أدواتٍ فعَّالة لنشر الأكاذيب وتشويه الأحداث بهدف التأثير في الرأي العام. وتتجلَّى هذه الممارسات بوضوح في تغطية النزاعات المعاصرة، كما حدث إبان أحداث غزَّة في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣؛ إذ سعت بعض الجهات الإعلامية والسلطات الإسرائيلية إلى تصوير المقاومة الفلسطينية بصورة مغلوطة عبر ادعاءات ملفَّقة عن استهداف المدنيين. وقد أثبتت التحقيقات اللاحقة زيف هذه المزاعم، ما يؤكِّد أنَّ نهج التزوير لا يزال استراتيجية متَّبعة للهيمنة وتبرير العدوان السياسي والعسكري، ليبقى هذا السلوك امتدادًا لتاريخ طويل من السياسات التي توظِّف الدجل الإعلامي، وتعيد صياغة الواقع لخدمة مصالح السلطة.

المبحث الثاني: سياسة إنكار الحقّ الواضح

يُعدّ إنكار الحق والجحود من أبرز سمات الاستكبار في التصوُّر القرآني؛ حيث يرفض المُستكبِرون الحقّ الذي يوقنون بصحَّته صونًا لمصالحهم وسلطتهم، ويصرّون على تزييف الواقع وتشويه الحقائق لضمان ديمومة نفوذهم. وقد تجلّى ذلك بوضوح في موقف (فرعون) تجاه موسى عليه السلام؛ إذ استكبر، وكذّب، وأدبر كائدًا رغم إدراكه لصحَّة الآيات والمعجزات، مُفضِّلاً الغطرسة على الانصياع للحقّ، مدفوعًا بنزعة جامحة للسيطرة وتحقيق مآربه الشخصية. وينعكس هذا النهج في واقعنا المعاصر في مواقف بعض القوى الغربية ودولة الاحتلال الإسرائيلي تجاه القضية الفلسطينية؛ فـ «إسرائيل» التي أُقيمت على أرض محتلَّة ارتكبت أبشع الجرائم بحقّ المدنيين، مستهدِفة الأطفال والنساء والبنية التحتية، بينما تسعى أطراف دَولية إلى إنكار هذه الجرائم أو التقليل من شأنها، متجاهلة الحقائق الموثقة والشواهد الجلية، ما يعيد إنتاج منطق التحريف والتزييف القديم في ثوب عصري. وتكشف هذه السياسات

أنَّ الاستكبار لا يقتصر على القوَّة العسكرية أو الاقتصادية بل يمتدّ ليشمل الأبعاد الإعلامية والفكرية والسياسية؛ حيث تُوظّف وسائل الإعلام والدبلوماسية لتبرير الانتهاكات وطمس الحقائق، على غرار محاولات فرعون في تزوير الواقع أمام شعبه. وهكذا، يتواصل نهج الاستكبار في تحريف الوقائع وتكذيب الحقّ للحفاظ على الهيمنة، في تكرار عصري لمنطق (فرعون)، ليؤكِّد أنَّ رفض الحقّ هو أداة المستكبرين الدائمة لإدامة سلطتهم وهيمنتهم، مهما اختلفت العصور وتطوّرت الوسائل.

المبحث الثالث: الاستبداد الفكري واحتكار المعرفة

يتَّضح أنَّ الاستكبار الفكري والسيطرة على المعرفة من أبرز سمات القوى المُستكبِرة، قديمًا كما تجسَّد في شخصية (فرعون)، وحديثًا في ممارسات القوى الغربية؛ إذ يسعى هؤلاء لاحتكار الحقيقة، ومنع الآخرين من الإسهام في صناعة الفكر، بدعوى أنَّ رؤاهم هي الحقيقة المطلقة. ويتجلَّى ذلك في احتكار البحث العلمي، كما في وكالات الفضاء كـ «ناسا»، أو في الدراسات الاستشراقية التي تسعى لرسم صورة نمطية للمجتمعات الإسلامية في الأوساط الأكاديمية الغربية والعربية على حدّ سواء. ولا تقتصر هذه السياسات على الفكر فحسب بل تمتدّ لتشمل «هجرة العقول»، باستقطاب الكفاءات العربية للغرب، ما يستنزف الموارد البشرية المؤهَّلة، ويزيد من التبعية العلمية والسياسية للدول النامية، ويوسِّع الفجوة المعرفية التي تعزِّز الهيمنة الفكرية والثقافية على الشعوب.

المبحث الرابع: تجهيل المجتمع وتسطيح الوعي

تُعدّ سياسة تجهيل الشعوب من أبرز أدوات الهيمنة الفكرية والسيطرة على المجتمعات؛ فهي تهدف إلى تشتيت وعي الأفراد وعزلهم عن معارفهم الدينية والاجتماعية، وهو ما نلحظه في الممارسات التاريخية لـ (فرعون)، والسياسات الغربية المعاصرة تجاه الشعوب العربية

والإسلامية. وتتحقَّق هذه الغاية عبر تشويه القِيم، ونشر الفساد، وإلهاء الشباب عن القضايا الجوهرية، لضمان تبعيَّتهم وترسيخ السيطرة الفكرية والسياسية والاقتصادية للقوى المستبدة.

الفصل الثالث: الاستكبار وعالم القيم ونمط الحياة

المبحث الأوَّل: سياسة نشر الفساد

تقوم السياسات الاستكبارية على نشر الفساد والاستبداد باعتبارهما أدوات للسيطرة على الشعوب وإخضاعها، وهو ما جسَّده القرآن في قصة فرعون الذي سخر سلطته لتضليل قومه ومواجهة دعوة موسى عليه السلام. وينشأ الطغيان غالبًا من شعور الفرد بالاستغناء الناجم عن تراكم السلطة والثروة، ما يدفعه إلى تجاوز القيم الخُلُقية والقوانين. توظِّف القوى الغربية هذا الواقع في المجتمعات العربية والإسلامية من خلال بثّ الرذائل الثقافية والاجتماعية، وإشغال الشباب بمُلهيات الحياة، ودعم منظَّمات تروِّج لقِيم دخيلة؛ سعيًا لتفكيك الأواصر الدينية والخُلُقية، وإيجاد جيل تابع يفتقر إلى القدرة على مقاومة الاستبداد أو إحداث تغيير سياسي واجتماعي.

المبحث الثاني: تعزيز الجانب المادي من نمط الحياة

تتكوَّن حياة الإنسان من جانبين متكاملين: مادّي ومعنوي، وتتطلَّب الحياة المستقرّة والسعيدة توازنًا دقيقًا بينهما. إنَّ الإفراط في السعي وراء المتاع الدنيوي يؤدِّي حتمًا إلى إهمال الجانب الروحي وفقدان الطمأنينة؛ وهو ما يجسِّده القرآن الكريم في قصتي (فرعون) و(قارون) اللذين ضُربا مثلاً في الانغماس المادي وعواقبه الوخيمة. وفي سياق معاصر، يستغلّ الاستكبار العالمي هذا الانغماس لتعزيز هيمنته، مستخدِمًا المال والترف والعلامات التجارية باعتبارها أدوات للسيطرة على مفاصل التعليم والثقافة. وتفضي هذه الهيمنة الاقتصادية والسياسية إلى إفقار الشعوب وجعلها رهينة للقوى الخارجية، ما يقوِّض استقلالها ويضمن بقاء نفوذ تلك القوى.

الفصل الرابع: سياسات المؤامرات والعنف والإرهاب

المبحث الأوَّل: سياسة فرِّق تَسُد

تعتمد سياسة «فرِّق تَسُد» على تفتيت الشعوب والكيانات الكبرى لإضعافها وتسهيل السيطرة عليها؛ فالوحدة مصدر للقوّة، بينما يؤدِّي التفكُّك إلى الهوان. وتلجأ القوى الاستكبارية إلى بثّ الفتن الطائفية والقومية والعرقية، وتأجيج النزعات الانفصالية، وهو ما أكَّدته شواهد التاريخ، بدءًا من عهد (فرعون) وصولاً إلى اتفاقية «سايكس بيكو» التي رسمت حدودًا مصطنعة مزَّقت النسيج الاجتماعي وأشعلت نزاعات مستمرّة. وقد تجلَّى هذا النهج في دعم انفصال جنوب السودان، وتغذية الحروب البينية، كالحرب العراقية الإيرانية؛ حيث سعت القوى الغربية إلى إذكاء الصراعات لاستنزاف موارد المنطقة وإضعاف كياناتها، ضمانًا لاستمرار هيمنتها السياسية والاقتصادية.

المبحث الثاني: سياسات المكر والمؤامرات

يُمثّل المكر سمةً أصيلةً للمُستكبِرين والطغاة، وهو ما أكَّده القرآن الكريم في سياق مكر (فرعون) بالنبي موسى عليه السلام، وكُفَّار قريش بالنبي مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم. وفي العصر الحديث، تتَّبع قوى الاستكبار، متمثِّلةً في الغرب وأدواته، النهج ذاته لإضعاف الشعوب العربية والإسلامية، مُستخدمةً المؤامرات الاقتصادية، والعسكرية، والثقافية، والدينية، لإخضاع هذه الشعوب والسيطرة على مقدّراتها. ومن هنا، تبرز ضرورة أن تعي النخب الإسلامية دورها في توعية الأُمّة، وحماية هُويَّتها الثقافية والدينية، وحثّها على البذل بالعلم والعمل والمال؛ لردّ كيد الأعداء وصون السيادة والاستقلال.

المبحث الثالث: العنف والإرهاب والقتل

كشفت السياسات الاستكبارية عبر التاريخ عن اعتماد العنف والقتل باعتبارهما أداتين

للسيطرة وقمع الشعوب؛ فـ (فرعون)، على سبيل المثال، مارس التنكيل بحقّ بني إسرائيل، مستهدفًا الأطفال والنساء لإجهاض دعوة موسى ﷺ وتثبيت أركان حكمه. ويمتدّ هذا النهج إلى العصر الحديث، كما تجلَّى في غزو الولايات المتَّحدة لأفغانستان والعراق تحت ذرائع واهية، وارتكابها مجازر بحقّ المدنيين، وكذلك في العدوان الإسرائيلي المتكرِّر على غزَّة الذي خلف آلاف الضحايا ودمر البنية التحتية. ومن هنا، يتَّضح أنَّ استراتيجيات الاستكبار تقوم في جوهرها على ترهيب الشعوب وإخضاعها، وتجاوز القوانين والأعراف الدولية، ما يفرض على المجتمعات ضرورة الوعي بهذه المخاطر، والتمسُّك بحقوق الإنسان، والدفاع عن قِيم العدالة.

المبحث الرابع: السجن والاعتقال والنفي

طالما استخدم المُستكبِرون السجن باعتباره أداة لقمع الشعوب وإسكات أصوات الحقّ، مُمتدين في ذلك من تهديد (فرعون) لـ موسى ﷺ وصولاً إلى ممارسات قوى الاستكبار المعاصرة. لقد اتُّخذت هذه الوسائل بديلاً عن القتل؛ سعيًا لإضعاف إرادة المؤمنين وطمس أثر الشهداء وأفكارهم. وتتجلَّى فظائع التعذيب الحديثة في سجن «أبو غريب» بالعراق، ومعتقل «غوانتانامو» في كوبا، والسجون الإسرائيلية في فلسطين ولبنان؛ حيث تعرَّض المعتقلون لانتهاكات جسدية ونفسية ممنهجة، كالحرمان من النوم، والصعق بالكهرباء، والتنكيل الجنسي. وتكشف هذه السياسات عن نهج المُستكبِرين في إخضاع المعارضين وفرض الهيمنة عبر القهر والترهيب، متجاوزين بذلك كل المعايير الخُلُقية والإنسانية.

الفصل الخامس: الاستكبار العالمي والعسكر والاقتصاد

المبحث الأول: السيطرة الاقتصادية والماليّة

يُعدّ المال والاقتصاد من الأدوات الجوهرية التي يستخدمها المُستكبِرون لإغراء الشعوب

ومحاصرة المعارضين، وهو نهجٌ تاريخي تجلّى في تهديدات (فرعون) وقصة (قارون). أمّا في العصر الحديث، فتتجسَّد الهيمنة الاقتصادية في سيطرة الولايات المتَّحدة على الدولار والأسواق العالمية والموارد الأساس؛ حيث تُوظَّف العقوبات الاقتصادية والمساعدات المشروطة للضغط على الدول، بالتواطؤ مع مؤسَّسات دَولية كالأمم المتَّحدة وصندوق النقد الدَّولي. وتؤكِّد هذه السياسات استمرارية توظيف القوَّة الاقتصادية باعتبارها أداة للهيمنة السياسية.

المبحث الثاني: السيطرة الأمنية والعسكرية

تُعدّ القوَّة العسكرية والأمنية ركيزةً أساس يستند إليها الطغاة والمُستكبِرون لتثبيت أركان حكمهم وإحكام قبضتهم على شعوبهم؛ إذ يُشكّل الجيش والأجهزة الاستخباراتية العمود الفقري الذي يحمي مصالح الحاكم، ويجهض أي محاولة للثورة أو الاحتجاج الشعبي. وقد بيّن القرآن الكريم كيف وظّف فرعون شبكته الواسعة من الجواسيس لمراقبة الشعب، وتتَّبع ولادة موسى عليه السلام للقضاء عليه، كما سخّر جيشه المنظَّم لإخضاع بني إسرائيل ومنع تحرّرهم. وفي الواقع المعاصر، تعتمد القوى العظمى، وعلى رأسها الولايات المتحدة، على منظومة استخباراتية متكاملة تضمّ وكالات مثل CIA وDIA وFBI وNCA؛ لرصد الأحداث داخليًّا وخارجيًّا وجمع المعلومات وتحليلها، فضلاً عن انتشار قوَّاتها العسكرية في أكثر من ١٧٧ دولة لتعزيز نفوذها السياسي والاستراتيجي تحت ذريعة مكافحة الإرهاب وتدريب الجيوش المحلِّية. ويُثبت التاريخ والواقع أنَّ الاعتماد المطلق على القوَّة العسكرية والأمنية لا يضمن بقاء الأنظمة، فهي في نهاية المطاف خاضعة لسنن الله في كونه، كما كانت عاقبة (فرعون) وجيشه حين غرقوا في البحر.

المبحث الثالث: الترابط بين السيطرة الاقتصادية والعسكريّة

تُبيّن الدراسة العلاقة الوثيقة بين القوَّة العسكرية والسيطرة الاقتصادية للقوى العظمى؛ إذ

يخدم كل جانب الآخر لتعزيز نفوذه. فعلى سبيل المثال، وظَّفت فرنسا قواعدها العسكرية في أفريقيا لضمان استمرار هيمنتها الاقتصادية بعد استقلال دول القارة ظاهريًّا، وذلك عبر اتفاقيات تقيِّد تلك الدول وتحصر جزءًا كبيرًا من احتياطياتها النقدية في البنوك الفرنسية، فضلاً عن استغلال مواردها الطبيعية، كاليورانيوم والمعادن. وبالمثل، تعتمد الولايات المتحدة على وجودها العسكري في الخليج العربي لحماية مصالحها الاقتصادية، لا سيِّما في قطاع النفط، والتحكُّم في تدفُّق الثروات. علاوة على ذلك، تساهم الحروب والأزمات المفتعلة في تنشيط أسواق السلاح والتكنولوجيا العسكرية الأمريكية، ما يضمن ديمومة الهيمنة العسكرية والاقتصادية. وبذلك، يتَّضح أنَّ القوَّة العسكرية ليست مجرَّد أداة دفاعية بل هي وسيلة استراتيجية لفرض النفوذ الاقتصادي والسياسي على الصعيد الدولي.

بناءً على ما تقدّم، يتَّضح أنَّ القرآن الكريم يقدّم إطارًا شاملاً لفهم آليات الاستكبار والطغيان، سواء على الصعيد الفردي أم الجماعي، ويضع القواعد والقِيم الكفيلة بحماية المُستضعفِين، وكبح جماح الظلم والفساد. وقد أظهرت الدراسة أنَّ الاستكبار ليس مجرَّد سمة شخصية بل هو ظاهرة اجتماعية وسياسية ممتدَّة عبر التاريخ حتى عصرنا الحالي، تتجلَّى في الهيمنة الاقتصادية، والفكرية، والعسكرية للقوى العالمية. كما بيَّنت أنَّ تكامل هذه القوى يضمن استمرار السيطرة، بينما تظلّ الرؤية القرآنية للقِيم الإلهية أداة فاعلة لمقاومة هذه السياسات، وتعزيز العدالة والاستقرار الاجتماعي. ومن هذا المنطلق، يظلّ النص القرآني مرجعًا جوهريًّا يزوّد الإنسان بالأدوات التحليلية لمواجهة الظلم، مؤكِّدًا أنَّ الثبات على الحق والتمسُّك بالقيم الخُلُقية والمعرفية هو السبيل الأمثل لبناء مجتمع عادل ينهض بالإنسان، ويحقِّق مصالحه في الدنيا والآخرة.